

## أسطورة الطرب .. وقيثارة التطريب

أسعدتني دعوة كريمة وصلتني من الجالية السودانية في (مسقط) بسلطنة عمان الشقيقة في مطلع العام بمناسبة اقامة مهرجان ( أسبوع السودان في عمان ) إحتفاء بعيد الإستقلال وقدم العام الجديد ودخول الألفية الثالثة .. وكان برنامجا حافلا بالفعاليات .. عامرا بالود والمحبة .. نابضا بالصدق في الوفاء شاهدا على البذل والعطاء من كل أفراد الجالية المتلاحمة كالعظم باللحم والمتكاتفه كخيوط النسيج المتناسقة كإيقاع النغم .. والمتألفة كسرب الطيور .

وقد عشت بينهم ثلاث ليال كانت تتسارع في سباق المراثون نحو الوصول الى الكمال .. وتتلاقى كزخات المطر في ري السنابل المورقة في اعالي التلال .. وتتكامل في حمل رسالة الى البلد المضيف .. عمان رسالة حب ووفاء وعرفان .. والى الوطن البعيد السودان .. رسالة شوق واغتراب وحرمان .  
وكان من أجمل الأمسيات لفترة الوفاء .. وأذكاء جذوة الشعلة التي بدأت تشتعل ناراها ويشع ضياؤها .. ويتردد نداؤها في أرجاء البلاد .. شعلة تخليد ذكرى الخالدين من أهل الفن والابداع وتكريم قمة المبدعين في شتى مجالات الخلق والابداع.

كان النشاط الثقافي يحمل فكرة التكريم .. في صورة جديدة ولغة متحضرة .. ودلالة مغايرة للنمط القديم .. نمط حفل التايين وهو أشبه بالغناء في ظل مقبرة .. والنواح في ساحة مأتم ولطم الخدود وشق الجيوب في مسيرة جنازة .

لقد جاء التكريم في ثوب الحياة .. يرفل في قامة الرجل .. ويعطر أجواء الحفل بعبق الأريج الناضح من قلب المباخر .. ونشوة الزغاريد المنطلقة من أعماق الحناجر .. وعندما يلتقى هذا الصدى وذاك الندى بتلك الرؤى تكاد تلمس رقة الكلمات .. وتتذوق صدق العبارات .. في نبرة المقدم .. وحديث المتكلم فعل الحواس الخمسة الذي نادى في الناس (( هنا السودان )) في عمان .. يكرم عثمان .. وعثمان لم يكن يحتاج الى تعريف ولا يقصه توصيف .. فهو الفنان عثمان حسين ،، الذي ظل يعطر الليالي .. ويطوع المحال . طيلة مسيرة نصف قرن في دروب الفن والابداع .. تاريخ امة .. وأمجاد جيل .. في السير ماخبا في كل الزوايا .. البعيدة الضاربة في أعماق التاريخ .. والقريبة المنحوتة في وجدان شباب اليوم .. من جيل المطربين الذين يشقون صمت الليالي باغانية الخالدة في بيوت الأفراح .. والليالي الملاح ..

لقد كان من أهداف زيارتي .. ومصدر سعادتي .. وصدق قناعتي بتسجيل هذا الحدث وتوثيق هذه المناسبة أن حققت الجالية السودانية في ( مسقط ) حلم حياتي .. واحلى امنياتي وسط هذا الظلام الدامس في طريق الذكريات .. أمنيتي في أن أحضر حفل تكريم الفنان عثمان حسين. يصعد منصته .. ويلقى كلمته .. ويعلن فرحته يوم العين تلاقى العين .. مع أجمل الحلوين .. من فئة مقدره .. صادقة معبرة .. عن أهل السودان .

وكان حلمي ان أكون بين المدعوين لهذا العرس الفني الكبير لأمد يدي .. مصافحا عثمان بدفء حبي له خلال نصف قرن واعجابي بفنه في رحلة عمرى كعاشق لجيل الصفاة من فناني الحقبة الأولى الذين يمثلون قاعدة الهرم .. وقمة العطاء .. الذين حفرُوا بأظافرهم في صخور الأرض الصلبة ليبنوا تمثالا للفن .. وتصيب عرقهم في هجير السنين الطويله لينحتوا على قاعدة الصخر اسم الفن السوداني .. اسطورة الطرب .. من الموهبة الفطرية والرغبة الوطنية والروح المثالية في البحث والتنقيب عن روائع التطريب في فن الغناء ..

لقد كان عثمان أحد هؤلاء .. وهو آخر العنقود من ذلك الرحم المعطاء الذي أنجب عمالقة منهم من قضى نحبه ومنهم ما زال ينتظر .. وحتى لا تفوت الفرصة التي لن تتكرر والحلم الذي لم يتحقق .. والعجز الذي ظل عانقا مسيرة الإبداع .. ينبغي على الدولة وعلي أعلى المستويات إعادة النظر في معنى التكريم وأسلوب التقييم للمبدعين في شتى المجالات .

لقد كانت لنا أسوة حسنة بالشقيقة مصر .. والتي نالت قصب السبق في مهرجانات التكريم .. وقبل بضعة سنوات .. وقبل أن يرحل الفنان خالد محمد عبد الوهاب وأنا في رحلة في الخارج وجدت لوحات اعلانية في مترو الأنفاق في لندن وعليه صورة الفنان الكبير الراحل محمد عبد الوهاب واعلان عن حفل كبير في قاعة ( البرت هول ) في بلد الضباب .. وهي رمز للقامات الطويلة . واللففات النبيلة تدعو الى تكريم ذلك العملاق وما مانت امة خلدت رموزها في سجل التاريخ فهو الميراث الشرعي للأجيال القادمة .. وقلت لنفسي هكذا تغرس مصر في وجدان اطفالها حبهما لها .. لأنها تحببهم اليها في حب من أحبوا .. ويتواصلون معها طمعا في ان يصلوا الي مكانة تلك المحبة .

وواصلت رحلتى وفي مطار أوهارا في شيكاغو بالولايات المتحدة وفي جانب السلم الألي وأنا اتلفت مأخوذا بالاعلانات التي تخلب العقول وتحدث الذهول فوجئت بلوحة الكترونية تحمل عبارة عربية تعلن عن ( السوق الحرة في مطار دبي الدولي ) وبجانبيها لوحة الاعلان عن حفل الفنان محمد عبدالوهاب في قاعة ( البرت هول ) في لندن .. وهكذا تنفذ النسمة الحلوة تعبر القارات من القاهرة الى شيكاغو فمتى تنفذ اخري مماثلة من الخرطوم الى نيويورك والسودانيون ملأوا أركان العالم الاربعة .

لقد اثار رغبتى في الكتابة في هذا الموضوع الذي عاش في وجداني نصف قرن . وفي ذاكرتى بضعة عقود .. وفي لساني عدة سنوات عندما شاهدت حفل تكريم الفنان خالد محمد عبدالوهاب .

وكنت قد كتبت في مرثية شعرية في ديواني (نقوش على البحر) في مطلع الثمانينات قصيدة بعنوان ( بكائية في موسم الحداد ) في رثاء الصديقين الابدبيين الراحلين عطر الله ثراهما وذكراهما الاستاذ عبدالله حامد الأمين رئيس الندوة الأدبية بأمر درمان والاستاذ القاص المتفرد أبوبكر خالد وبكيت فيها على واقع المبدعين وان سقطت دموعى شاييب رحمة علي قبر الصديقين الراحلين .

وكنت ادعو متمنيا ان نكرم المبدعين أحياء .. حتى يقدروا الوفاء ولو في كلمة طيبة جذورها في الأرض وفروعها في السماء .. لا ان نكرمهم وهم اموات لا يسمعون هذه الصرخات .. وصالح الدعوات . وقد تحقق حلمي في عمان .. وامل ان يتحقق حلم الأمة في السودان .. بتكريم جيل عثمان .. وقد يكون من لطف الله بنا ونعمته علينا ان أمد في عمرهم الطويل بأذن الله .. تذكرة لمن شاء ان يتذكر .. حتى لا نندم ولات ساعة مندم .

وقد أتلج صدرى حديث وزير الثقافة والإعلام الدكتور غازي صلاح الدين والذي وعد ان يكون نهج الدولة تكريم المبدعين احياء بكلمة شكر .. لا اموات باهدائهم مليون متر في ارض المليون ميل مربع لتشييد مسكن وهم ينعمون في جنات الخلد مع الشهداء والصديقين وحسن اولئك رفيقا بأذن الله .

ان هذا السلوك الإنساني والأسلوب الحضاري والنهج الجديد في بعث الروح المعنوية هم الخطوة الاولى في الاتجاه الصحيح .. اتجاه احترام الذات من خلال تقدير اصحاب المواهب وحملة الرسائل الفنية والأدبية والعلمية والسياسية .

ان بلادنا حبلى بالعباقرة .. فقد انجبت الاستاذ العلامة عبدالله الطيب فهو اسطورة الادب .. وعماق الساحة على مستوى القارة الافريقية والعالم العربى والاسلامى .. لم يتوهج نوره ولم يذع صيته بحجم عطائه .. وقدر ردائه .. وحسن بلائه فى مجال الفكر الانسانى والغيث اوله قطره فينهمر .

ألا أمد الله فى عمر هؤلاء . وأنعم عليهم بالعافية .. واکرمهم بخير الجزاء وحسن الخاتمة .

إفادة من الدكتور / الزين عباس عمارة  
استشارى ومدير مستشفى الطب النفسى الجديد ( ابوظبى )